المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
العدد الثاني عشر/ الجزء الثاني نيسان 2022

# معاناة الغربة في شعر عبد الواحد حسن السنوسي.

**الدكتور حسين أحمد جمعة**
**محاضر بجامعة أنجمينا-تشاد**

**الملخص.**

تناولت هذه الدراسة شعر عبد الواحد حسن السنوسي بالبحث والدراسة وكشفت عن شاعر مبدع متمكن، تعرض في شعره لمختلف الأغراض والقضايا الوطنية والاجتماعية، كما تناولت جانباً في شعره لم يعرض له من قبل، وهو شعر الغربة والاغتراب الذي يبرز جانباً نفسياً وجدانياً في الشاعر.

وهدفت الدراسة إلى إبراز مواطن الجمال في النص الشعري، والكشف عن الجوانب النفسية التي حفزت الشاعر إلى صياغة أشعار معاناة الغربة والاغتراب، إضافة إلى كشف مظاهر الغربة والاغتراب، من خلال التعبير والتصوير الذي اعتمده الشاعر، ومدى صدق التجربة الشعورية التي تكشف عن معاناة ذات الشاعر في الغربة والاغتراب، ولتحقيق هذه الأهداف تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وقسمت الدراسة بعد مقدمة إلى ثلاث مباحث وخاتمة.

**الكلمات الأساسية: نفسي، وجداني، معاناة الغربة، تجربة شعورية.**

**Abstract.**

I seek، through study، to study this poet and his poetry، in order to work on satisfying the field of Chadian literature with his artistic creations.

The aim of this topic is to highlight the beauty of the poetic text. And revealing the psychological aspects motivated the poet to formulate the poem of the suffering of alienation and estrangement. In addition to revealing these manifestations through the expression and depiction adopted by the poet and the extent of the validity of his experience.

I hope that، this study will be prominent in the context of the study of Chadian literature، and an attempt to delve into it so that we can know this literature، which is characterized by its richness and depth.

**Key words: psychological، sentimental، suffering of estrangement، emotional experience.**

**مقدمة:**

كشف شعر عبد الواحد حسن السنوسي عن شاعر مبدع متمكن، تعرض في شعره لمختلف الأغراض والقضايا الوطنية والاجتماعية، ومنها شعر الغربة والاغتراب الذي يبرز جانباً نفسياً وجدانياً في الشاعر.

حيث تهدف هذا الدراسة إلى:

1. دراسة هذا الشاعر وشعره، وذلك للإعجاب الذاتي بإبداعاته الفنية.
2. العمل على إشباع مجال التخصص الذاتي والذي يطال ميدان الأدب التشادي خاصة.
3. إبراز مواطن الجمال في النص الشعري. والكشف عن الجوانب النفسية التي حفزت الشاعر إلى صياغة أشعار معاناة الغربة والاغتراب.
4. كشف مظاهر الغربة والاغتراب من خلال التعبير والتصوير الذي اعتمده الشاعر، ومدى صدق التجربة الشعورية التي تكشف عن معاناة ذات الشاعر في الغربة والاغتراب.

ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم تقسيم الدراسة بعد مقدمة إلى ثلاث مباحث وخاتمة تشمل أهم النتائج.

## المبحث الأول

### التعريف بالشاعر

**مولده:** عبد الواحد حسن السنوسي من مواليد مدينة (فايا) عاصمة الشمال التشادي. وهي عبارة عن واحة كبيرة في وسط صحراء تشاد. التي هي من امتداد للصحراء الإفريقية الكبرى، ولد الشاعر تقريبا عام 1967م، في بيت أشتهر بالعلم والدين، حيث كان أبوه حسن السنوسي، أحد الفقهاء المشهورين في منطقة الصحراء بالعلم والورع هاجر عبد الواحد مع أسرته في سن مبكرة إلى ليبيا.

وبدأ مراحل تعليمه فيها حيث تم تسجيله في مدرسة زيد بن ثابت في مدينة أجدابيا التي تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي بها، وقد ساعده نظام الدراسة في هذه المدرسة من التزود بمبادئ العلوم الدينية، حيث كان أسلوب التعليم فيها أشبه بأسلوب الكتاتيب القرآنية.

وقد ارتبط عبد الواحد حسن السنوسي عاطفياً بمدينة أجدابيا. حيث ظلت راسخة في أعماقه رغم مغادرته لها، أنها ذكريات الصبا، وقد خلد عبد الواحد ذكرياته مع أجدابيا، وقد علق قائلاً: خرجت من مدينة اجدابيا قاصداً بني غازي ذات يوم عام 1979م ولم اعد إليها ثانية إلا ذات يوم من عام 1995م، ورغم طول الغياب والنوى، إلا أن أجدابيا ظلت عزيزة على قلبي، ففيها كان مهد طفولتي، وأيامها الذهبية الغالية، وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة زيد بن ثابت الحبيبة، وقد نظم فيها الأبيات التالية:

**أجدابيا لـــو أن إخـــــلاص يكـــــال ... إذاً لكلت من وفـاء القلب كيلا وافـــيا**

**أجدابيا لو أننـي خيرت بين مدائن ... أخـرى و أنت لكـــنت أجـدابيا**

**في حضنك الميمون عشت طفولـتي ... ونهلـــت ثمة سلسبيلا صافـــيا**

**مـا إن ملئت بفـيض حسنك ناظري ... حتى استعـــاد القلب نبضـاً صافيا**

**نبض المحـب إذا استعـــاد حبيبه ... فلـــه المشاعـــر أولاً وثانياً**

**عشنا الغـــرام أنا و أنت فكـــلنا ... الحـب لـــم يكن قط يوما خافـيا**


ISSN: 2709-5312

لامست أقدام عبد الواحد حسن السنوسي تربه مدينة أنجمينا عام 1979م، وما لبث قليلا حتى نشبت الحرب الأهلية فظل الشاعر محبوساً في جو المدينة الموحشة فلجأ وأسرته إلى مدينة الجنينة الحدودية بالسودان، ومكث فيها مدة عامين ثم التحق بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم عام 1982م ليواصل دراسته الثانوية، وسرعان ما تم انتخابه رئيساً لإتحاد الطلبة، ونسبة لتكرر إضرابات الطلاب تم حبس عبد الواحد حسن السنوسي، ومن ثم تم إرساله إلى تشاد من قبل السلطات السودانية.

عاش عبد الواحد في أنجمينا حياة غير مستقرة وتمكن من الجلوس لامتحان الشهادة الثانوية العربية بعد التحاقه بثانوية الملك فيصل في أنجمينا، ونال الشهادة عام 1987م التحق بعد ذلك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة الانجليزية، بجامعة أنجمينا، غير أنه لم يكمل دراسته.

التحق عقب ذلك بالجيش الوطني التشادي، وسافر في بعثة عسكرية إلى العراق بغرض التخصص في الطيران، ونظراً لعلل جسدية لم يتم قبوله، فعاد إلى تشاد عبر المملكة العربية السعودية فمصر، حيث مكث في القاهرة مدة من الزمن، ثم عاد إلى تشاد، وعمل في المنسقية الوطنية لنزع الألغام ثم تركها ليعمل مصوراً في التلفزيون التشادي، حتى وافته المنية في أكتوبر 2010م بمدنية أنجمينا.

**شاعريته:** يعد عبد الواحد حسن السنوسي، شاعراً متمكناً متميزاً في أسلوبه الشعري، غزير الإنتاج حلو العبارة عميق الفكرة قوي البناء، فصيح العبارة. وقد صاغ العديد من الأشعار، على الرغم من عدم تمكنه من الدراسة الجامعية، إلا أنه واسع الأفق عميق المعرفة ذو ثقافة واسعة. وذلك بسبب الاطلاع الواسع الذي كان يمارسه، وقد دعم ذلك الذكاء الكبير الذي كان يتمتع به عبد الواحد.

ويبدو أن عبد الواحد حسن السنوسي كان يهوى السفر والاغتراب، وكان يبحث عن الاستقرار والطمأنينة، ويبحث عن مجتمع أحلامه وأمنياته، وقد عانى وكتب ونظم عن معاناة الغربة وعذاباتها، وكان بعض أشعاره تضج بالشكاوى، خلف عبد الواحد الكثير من الأشعار جمعها في دواوين لم تطبع منها إلا طيور البطريق، ومذكرات بحار مجهول، وإيقاعات قيثارة بلدية، ثم في عام 2016م تم طباعة ديوان له بعد وفاته بعنوان كبرى.

## المبحث الثاني

### الغربة في شعره

**الغربة والاغتراب:** يقال تغرب يتغرب تغرباً أي: نزح عن الوطن، ترك موطنه إلى بلاد أخرى لا ينتمي إليها.

واغترب يغترب اغتراباً أي: أحس بالغربة وأيضاً نزح عن موطنه[1]، والاغتراب هو شعور بالغربة ينتاب الفرد رغم وجوده في بلده.

**والاغتراب النفسي**: هو إحساس الإنسان بفقده ذاته وشخصيته مما دفعه إلى الثورة كي يستعيد كيانه[2]. فالغربة كوجهة أخرى يقصدها الشاعر. لا ارض بديلة يحل فيها لتحمله وهمومه، وهي عبارة عن نزوح اختياري إرادي مادي، أي انتقال جسدي من الوطن الام إلى وطن آخر.

وقد عرف عبد الواحد مثل هذه الغربة فهو غاوي للرحلات والأسفار والغربة، وقد تناولت أشعاره جانباً وصف الغربة والحديث عنها، ويبدو أن هذه الغربة التي جربها أكثر من مرة لم تكن قادرة على أن تلبي نداءات الضمير الداخلية، ولا تتمكن من رصد الهواجس النفسية التي يصبوا إليها ضمير الشاعر الذي تكتنفه الحيرة، ويلفه القلق ويدفعه التطلع إلى عوالم أخرى ترسمها الأماني وتشكلها الأحلام، وكأنه في ذلك كباحث عن شيء مفقود يعتقد بوجوده في بلاد أخرى حتى إذا ما وصلها لم يجد ضالته، فيصاب بالإحباط، لأن البلاد متشابهة فالإحباط النابع من الحيرة، هو نبع للضياع النفسي وحيرة الذات الذي يولد الاغتراب، والألم.

والغربة مصدر أوجاع بالنسبة للشاعر الذي تمرد على واقعه الداخلي وحاول إطلاق وحش الثورة، ثورة على الذات التي ارتبطت بالمجتمع في حتمية أزلية لا انفكاك منها، ولا سبيل إلى الهروب منها، من هنا بزرت عوامل الاغتراب الذي يلف الشاعر بخيوطه فجعله كالمومياء لا يستطيع حراكاً[3].

---

1 **المعجم العربي الأساسي**, الاسيسكو ومطابع اميريميتو, باريس فرنسا, 1992م, ص 888

2 **المرجع نفسه**، ص 888 , فصل، غرب

3 / النزير البدوى عباس, الاغتراب النفسي لدى شواء التجديد, جامعة الخرطوم, كلية الآداب, الخرطوم 2007م, ص64.

والاغتراب سمة من سمات شعراء التجديد، هاجس نفسي داخلي يأسر وجدان الشاعر يجعله مشتتاً بين واقعه المعاش، وبين أحلامه وأمانيه التي يتطلع إليها إنه هاجس لتغيير إرادة ما يستحيل تحقيقه، والهروب من الممكن الناتج إلى المترائي خيالياً، ولكن ليس بالإمكان تحقيقه أو الوصول إليه[4].

ومن خلال بعض النصوص الشعرية للشاعر عبد الواحد تطالعنا مواقف الغربة والاغتراب في ثنايا قصائده التي تضج بالشكوى والمعاناة، وذلك ديدن الرومانسيين الذين يمتازون بالحرية الكاملة في التعبير وعلى هذا لم يعد الأديب مطالباً بأي التزام أخلاقي أو ديني أو اجتماعي، بل هو يعبر عن نفسه تعبيراً يتحلل فيه من كل رابطة[5].

كما ساعدت سمة الاتجاه العاطف الذي يجعل المبدع معبراً عن مشاعره أكثر مما يعبر عن أفكاره[6] فالحكم عن الواقع بالسلبية هو الدافع الذي يدفع الرومانسي إلى البحث عن بديل مجهول خفي غامض لا وجود له فيعتمد عالماً داخلياً يخلقه، ويتمني ويطالب بوجوده لأن في رأى الشاعر الرومانسي أن هذا المجتمع، هذا الواقع المعاش مجتمع مليء بالشرور فالرومانسي يحاول تغييره، أو الهروب منه إلى عالم الأحلام.

وهذا الرفض هو الدافع إلى التمرد والثورة وبالتالي هو مبعث الاغتراب والغربة، والشعور بالحيرة والقلق والتعبير عن هواجس النفس ومكنوناتها التي تطمح إلى عوالم مثالية خالية هي إلى الأحلام اقرب منها ومن النصوص التي تشير إلى ذلك في شعر في قصيدته ((طيور البطريق)) ومطلعها:

**ماذا سأكتب عنك أنت وأنت أنت يا فتنة يا رحمة يا عنصري المفقود أنت**

**إلى قوله:**

**وكتبت أشياء صنعت مدادها**

**من ماء وجهي من دماء الكرم**

**وقرأت أوراقي لنفسي تارة ولألف عقل قاتم**

---

[4] محمد مفتاح, **إستراتيجية التناص**, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء.
[5] د/ احمد عوين ــ **اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر**، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ص2010م، ص24
[6] **المرجع نفسه**، ص24

**ولألف تفكير رتيب مظلم ولألف مخلوق وضيع قزم**

**وعرفت كل مشاعر الندم**

**ووقفت مشدوها ومهزوماً**

**على مفترقات العدم**

**وصعدت فوق مسارح الأهم**

**مثلت أدوار ألأبطال خياليين**

**قد لا يوجدون**

**ولأبطال حقيقيين قد يتواجدون**

**ولأبطال فرادى نادرين**

**ولأبطال حيارى غالباً ما يعرفون ويهملون**

**مثلت أعواماً وفق مسارح شتي بهذا الكون**

**مثلت أدواري بما قد يشتهون وما لا يشتهون**

**وعصرت أمالي وتجربتي إلى حد الجنون**

**وسقطت منهوكا على أخشاب هذا الواقع الملعون**

**ما سواه واقعي الملعون**[7]

[7] **ديوان الكبرى للشاعر عبد الواحد حسن السنوسي**, تقديم د/ محمد النظيف يوسف , ط1 , المركز العلمي للدراسات والبحوث, سلسلة الأدب التشادي , 2005م


ISSN: 2709-5312

فالبحث عن العنصر المفقود في قوله (يا فتنة يا رحمة ـ يا عنصري المفقود أنت) هو العامل الأول للحراك النفسي، والانطلاق الداخلي الذي يقيس الأمور بمعيار ضمير ورؤى الشاعر فيرى ويجد أن الواقع مفارق للحقيقة الذاتية لرؤى الشاعر فالواقع المعاش لا يتفق ولا تتوافر فيه ما يصبو إليه، فيرفضه ويتمرد ويثور عليه، بل ويلعنه ففي قوله:(ما سواه واقعي الملعون) غير أن هذا الواقع الملعون ما هو إلا المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر المجتمع وما يشتمل عليه من عادات وتقاليد ومعاملات وعلاقات وممارسات متوارثة وصراعات جزءا من هوية الجماعة، وسمة من سمات المجتمع، وهي التي لا تستهوي الشاعر ولا تتطابق مع قناعاته الفكرية ولا هواجسه التي يتطلع إليها فصار الأمر عبارة عن صراع بين الفرد والجماعة، وبين الشاعر ومجتمعه.

يسعى الشاعر جاهداً إلى البحث عن بديل يسعى إلى تغيير عادات راسخة في المجتمع يسعى إلى تغييرها بالكلمة الشعرية لأنها الأداة الوحيدة التي يمتلكها الرومانسي للكفاح ولكنها ليست سحرية، لذلك تعد الكلمة الشعرية المشحونة بالعاطفية والمشاعر، والرؤية المتباينة مع مسلمات المجتمع وقناعات الجماعة.

فالإحساس بالوحدة والتفرد في الرؤية، هي الدافع إلى التوغل في متاهات التمرد وموافق الرفض، غير أن المحاولات التي يقوم بها الشاعر للوقوف أم موجات تيارات المجتمع هي محالات يائسة فمن خلال قوله:

**وعصرت أمالي وتجربتي إلى حد الجنون**

**وسقطت منهوكاً على أخشاب هذا الواقع الملعون**

**ما سواه واقعي الملعون**[8]

[8] **المرجع نفسه**، ص82


ISSN: 2709-5312

يلاحظ أن كلمة (عصرت) تعكس دلالات نفسية ومعاناة وجدانية عميقة وتشير كلمة عصرت إلى نفاد العصارة نقاد الرحيق أو الإكسير الذي يحاول من خلاله تغيير المجتمع حتى نفد، فقام يعصر ما تبقي منه، دلالة على نفاد الآمال وانقطاع الرجاء، ويشير البيت إلى الإصرار والبحث بكل السبل عن الوسيلة الناجعة لدرجة الجنون مما يشير إلى بذل الجهد والطاقة حتى أنهدت القوى النتيجة (سقطت منهوكاً) من شدة الإعياء.

غير أنه سقط على مستقر غير ثابت، غير صلب وفي ذلك إشارة إلى هشاشة ثوابت وقناعات المجتمع على حسب رأى الشاعر فالسقوط على الأخشاب ليس مثل السقوط على الأرض، وإصرار الشاعر على التغيير جعله يرف المسلمات ويوسمها بالهشاشة وقابلية التلف والاحتراق والتلف. وعلى الرغم منه هو مستقر على هذه الأخشاب، لأن لا مجال إلى ما حوله، غير هذه الأخشاب.

فالأخشاب هي أرضية الانتماء الرابط بينه وبين الجماعة والأرض غير أنه لا يراها أرضا بل أخشابا، وهو يحاول أن يحيلها إلى ارض ثابتة معتقة بالمثالية التي يحلم بها، وتنهش أعماق وجدانه الأوجاع والعذابات عندما يمعن التفكير في هذا الواقع واقع الأخشاب الهشة أي العادات البالية الهشة والمجتمع الخرب الملعون وتهدأ حدة التمرد أحياناً فيحاول الاستسلام والروح للواقع في قوله[9]

**وأراني في عمق الأشياء تارة أقاوم الفكرة**

**أطاوع الذكرى لما قد كان**

**أطاوع البقاء في زنزانة النسيان**

**أطاوع المكوث في كماشة الجدان**

[9] **ديون كبرى**، مرجع سابق، ص83

**أطاوع البقاء في مكعب الحيطان**

**أقاوم الزمان في زنزانة الزمان والمكان**

**أطاوع الرحيل خلف نزع الخيال**

**أطاوع الفقر على وسائد المحال**

**بلا تفكر ولا اعتدال**

**كأي فراشة كأي بهلوان**

فالاستسلام، والسير مع القطيع من الهواجس التي تغشي رؤى الشاعر فتحيلها إلى رؤية الواقع كما هو فيحاول الرضوخ لها والنسيان أو التناسي ففي قوله:(أطاوع البقاء في زنزانة النسيان) جعل من النسيان زنزانة يشير إلى أنه مسلوب الإرادة فالزنزانة سجن يحاول فيه أن يبتعد عن مشاعره المتفردة وأفكاره الرافضة ليعيش الواقع كما هو، فهو مجبور ومقهور. يتمنى النسيان لعيش، لأنه لا يمكن أن يهرب من طبيعته التي تجرها أفكاره إنه لا يستطيع أن يكون سعيداً في المجتمع لأنه يرى أكثر وأعمق مما يجب[10].

(وإمعاناً في إظهار الحزن المتداعي يملئ الشاعر إلى ما هو مجرد وهو اليأس)[11] فهذه المحاولات في لفظ (أطاوع) ما هي إلا ارتعاشات احتضار الصبر في وجدانه ويصوره مسخاً قبيحاً، أبلهاً مريضاً بدائياً لدرجة العتمة، ويزيده ذلك نفوراً ورفضاً وتمرداً وثورة تندفع قوية هادرة محيرة، ولكنها ترتطم بالواقع فتلتهم الخشب، وتحاول أن تتكيف مع هذه الهشاشة بالتناسي أو النسيان، ولكن هيهات لهذا القلق أن يهدأ أو يخمد أو يسكن، يقول عبد الواحد:

---

[10]كلون ويلسن, **اللا منتهى**, دار الآداب, بيروت, لبنان, 1969م, ص90

[11] د/ خضر درويش، **شعرية التعبير والتصوير في الشعر العربي المعاصر**، مكتبة وهبة للطبع وانشر والتوزيع، القاهرة, 2017م، ص66

**ماذا سواه واقعي الملعون**

**شيء يقابلني على أرصفة الشوارع**

**على قارعة الطريق**

**شيء غريب ساخر مدلدل اللسان**

**مبتذل التكوين والبنيان**

**شيء طريف ساذج ومضحك كطاءٔ البطريق**

**شيء وضيع سافل وصارخ النعيق**

**مصطنع مقزز البريق**

**يتبعني كالديدبان**

**يدخل يده في داخلي يملأني بالغثيان**

**يحقنني بالعار والهوان**

**يحرقني رغم الحريق** [12]

فالمعاناة عنده وصلت لدرجة رؤية الأشباح وما هي إلا ملامح المجتمع إنسان المجتمع الذي يراه الشاعر بهذه الصورة القميئة، وهو ما يزيد من معاناته ومقاساته ويغمره بالوحدة ويضاعف من غربته في داخل مجتمعه ولا غرابة في أن تكون دواخل الشاعر مشتتة قلقة تملؤها الحيرة والكآبة

[12] **ديوان كبرى**, مرجع سابق , ص 87


ISSN: 2709-5312

والحسرة لدرجة التشاؤم الذي يغشي البصر من رؤية جوانب الخير والفضيلة في بعض جوانب المجتمع الذي لا يمكن أن يكون سلبياً شمولياً.

فالمعانة النابعة من الإحساس بالاغتراب جبرت الشاعر إلى الانقياد على الأحكام العاطفية الذاتية والدوران حول فكرة محددة، وهي فساد الواقع المعاش لدرجة أنه واقع ملعون،

وعلى الرغم من قسوة الأحكام التي يحكم بها الشاعر على واقعه ومجتمعه إلا؛ أنه تمكن من صياغة ما يشعر به في قرارات وجدانه مندفعاً بالمعاناة التي تنبع من شعوره بالغربة في داخل مجتمعه، وقد تمكن من تصوير هواجس نفسه من خلال رؤيته للأشياء ولعل وقع معاناة الغربة أشد وطأة في نفسه فأنطقته بكل هذا التعبير القاسي الذي يعكس مشاعره وإحساساته بكل وضوح، وما هذه العبارات إلا انعكاس للشعور بالوحدة الغربة والقلق والكآبة.

## المبحث الثالث: معاناة الغربة في شعر عبد الواحد

من خلال قصيدة طيور البطريق كنموذج لمعاناة الاغتراب أو الشعور بالوحدة والتميز في كل المجالات في داخل المجتمع أو بمعنى آخر الشعور بعدم الانتماء إلى ما ينتمي إليه (فالإحساس والشعور بالغربة قد يكون أشد وقعاً من الاغتراب)[13].

وقد عرف عبد الواحد الغربة، حيث سافر إلى العديد من البلدان . ومكث فيها غير قليل وذاق طعم الغربة المرير، مما دفعه إلى مناجاته وطنه ،والحنين إليها، والشكوى لها مما يجد ويعاني من عذاب الغربة وذلك من خلال قصيدته (كبرى ) التي نظمها في القاهرة إبان إقامته فيها حيث وجد نفسه وحيداً في وسط جماعة لا تعرف الوقوف، ولا السكينة لا تعرف كيف تواسى المحزون،أو تجبر خاطر المتأسي أو حتى تعيره اهتماماً.

[13] كولون ويلسون , **اللا منتهي** , مرجع سابق , ص 74

والشعور بالوحدة والعزلة وفقدان القيمة والكرامة جعله يحن إلى دفئ الوطن وحنانه، ومعاملته وذلك الضجيج والصخب، جعله يحن إلى الهدوء إلى السكينة هذا العالم البدائي الهاوي الساكن فمعاناة الغربة دفعه إلى اللجوء للوطن ولو عن بعد.

الارتماء على صدر كبرى الحنون ومناجاته من على الغربة لعل ذلك يخفف من معاناة هذا الطفل المرتعش هلعاً في وسط عالم لا يعرفه يقول في قصيدته (مذكرات بحار مجهول) أو (كبرى)

**مساء الخير يا كبرى مساء الخير يا سمرا**

**مساء الحب والذكرى**

**أرى عينيك يا كبرى على بعد المدى عبر**

**لماذا الدمع يا كبرى لماذا الحزن يا سمرا**

**أما سنعود يا كبرى بلى سنعود يا كبرى**

**وحق المقلة العبرى**

**غدا سيحين لقياكم لتغمرنا المنى غمرا**

**غدا سيحين لقياكم ليغدو عمرنا عمرا**

هذا الاستهلال الذي سكب فيه الشاعر الحميمة والمحبة تجاه الوطن الذي رمز له برمز يحمل دلالات كبيرة وعميقة (كبرى) فالهجرة مزدوجة والغربة لها بعدان بعد عن الوطن الذي يحن إليه الشاعر. فيناجيه وينادي ويتألم لأجله ولألمه الممتد الذي جعل عيون الوطن رقراقة بالدموع، دموع الأوجاع والمعاناة التي يعاني منها الوطن، وأوجاع الغربة ومعاناتها التي يعاني منها الشاعر، فالمعاناة مزدوجة بين الوطن والشاعر، غير أن الشاعر يدرك أن الوطن مكين وصابر في صمته

لذلك لجأ إلى صدر الوطن يشتكي إليه من معاناة الغربة، ويبني الآمال التي تضع حداً لهذا العذاب في قوله:

**غدا سيحين لقياكم لتغمرنا المنى غمرا**

**غدا سيحين لقياكم ليغدو عمرنا عمرا**

فالأماني لا تغدو أماني إلا في مرفأ الأمان والحب والعمر ثابت لا معنى له، إلا في لجة الوطن، فالغربة عنده منافية للحياة وتتوالى أصناف الشكوى إلى كبرى، حيث تبرز المعاناة في الغربة.

**أنا وحدي أنا في البعد يا كبرى**

**وما أدراك ما بالبعد يا سمرا**

**أنا وحدي هنا في هذه الغربة**

**بلا أهل بلا وطن بلا صحبة**

فالوحدة، أو العزلة هي انقطاع أمل التواصـــل مع الآخر التطابق فكراً ومعنى في القيمة القيم التي يتمسـك بها الإنسـان الشـاعر. قيمة المواطنة أي الارتباط الترابي الذي يشـتمل على كل القناعات الفكرة والموروث الجماعي الذي يتطلع إليه الشـــاعر وعند انتفاء هذا الصـــنف من الارتباط يجد الأنا الشاعر ذاته في وحدة العزلة.

فالوحدة انغلاق الذات القسري من الخارج، من المحيط الذي يصبح جامداً وصلباً وبارداً موحشاً لدرجة جمود التواصل مع الخارج، فيرتد ذلك إلى فضاءات النفس التي تتطلع على الانعتاق إلى

التواصل مع الآخر الذي تتكيف معه قيمياً فلا تجد إلا الخواء والعراء الممتد وحشة وسكون[14] فتشعر الذات بالوحدة والوحشة، وما ذلك إلا بسبب العبد والغربة.

والتكرار في قوله (أنا وحدي) يعكس دلالة المعاناة، النفسية.

وفي الغربة يفتقد الإنسان مقومات وجوده يفتقد الأشياء التي تمده بشعور معني الوجود والحياة، والوطن، والأهل، والصحبة. وقد تجلت أهمية العلاقات والروابط، عند النظر إليها من على البعد المكاني. ويستمر الشاعر في ذكر أسباب معاناته في المنفي الاختياري الذي وجد نفسه فيه قائلاً:

**هنا في البعد يا كبرى  حياة تحزن القلبا**

**هنا الإنسان بالإنسان لا يعبأ**

**هنا الدولار نصب نفسه ربا**

**هنا دوامة تستهلك الإحساس والحبا**

**وتبني للمنى قبرا**

**هنا في البعد يا كبرى أحاسيس تراودني**

**فتجرحني جراحاً  ليتها تبرى**

إلى قوله:

**أحن إليك يا كبري**

[14] **الشعر الحديث جداً في الوطن العربي في المهجر**: د/ اسعد على، دار السؤال، دمشق، ط1, 1981م، ص 56


ISSN: 2709-5312

**أحن إلى السلام الدفء في عينيك يا سمرا**

منابع الحزن التي تغمر قلب الشاعر نابعة من نمط الحياة في بلاد الغربة ضريبة التمدن والحضارة أسلوب الحياة العصرية في بلاد الغربة، والتي لا توافق نوعية الحياة التي ألفها الشاعر، وما يغمره بالحزن هو عدم اهتمام الإنسان بالإنسان، وهو ما يغمره بإحساس التفاهة. وعدم القيمة والعزلة والوحدة والوحشة، وهذا هو مبعث الحزن.

بالحزن فقد حياة الروعة والبراءة والفراغ والأنس، والدفء وحرارة اللقاء بين الأهل والأصحاب والأحباب، ويستطرد الشاعر واصفاً معاناته:

**أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى**

**أنا وحدي في عرض بحر البعد يا سمرا**

**أقول البحر يا كبرى**

**وما أدراك ماذا البحر يا كبرى**

**غدوت الآن بحاراً ببحر البعد يا كبرى**

**أقول البعد يا كبرى**

**حياة تحزن القلب**

**حياة لا تلائمني ولكني بها غصبا**

**هنا في البعد يا كبرى**

**ملايين من العربات تنهب دربها نهبا**

**جماعات وأقوام تخيرا أيهم دربا**

**تفاهات وأوهام قشور تكتسي لبا**

**تصيبني وتلطمني على وجهي ولم أجني بها ذنبا**

**هنا في البعد يا كبرى حياة تحزن القلبا**

**هنا في البعد يا كبرى ضجيج الناس يفزعني**

**وأنوار على الطرقات تفضحني**

**وابواق تمزقي وتدفنني**

**بعيدا عن ذرى وطني**

**بعيداً عن زمانكمو**

**زمان الأهل والسكن**

**هنا في البعد يا كبرى**

**تفاهات تجرعني كؤوس الذل والعفن**

**وتنفث سمها الفتاك في قلبي وفي بدني**

**وتنفخ في شراييني صديد القيح والنتن**

**تهجرني وتحرمني زمان الشهد واللبن**[15]

[15] **ديوان كبرى**، مرجع سابق، ص 67

في عنفوان هيجان الانفعال تتدخل الأشياء وتمتزج في رؤى ضبابية بسبب الانقباض الداخلي لذات الشاعر التي أعيتها الغربة وما تشتمل عليه تناقضات على حسب رأى الشارع، فهيجان التعبير، وقسوة التصوير، ما هي إلا فضاءات وجدانية نابعة من أعماق النفس التي تعاني من الضيق والآلام التي تتراءى لها في لحظات عتمة الشعور وحبس الانعتاق في محيط التفكير اللامع المشتمل على بصيص إضاءات نور الأمل.

فاستحالة الأشياء وتصويرها بهذا الهول والضخامة يشير إلى عمق المعاناة وعذابات الضمير في الذات المتشظية أسى ومعاناة.

ومن خلال النص تتجلى أشباح المخاوف والرعب، التي تتمثل في صراع داخلي مرير وعميق في دواخل الشاعر فما اعتاد عليه الإنسان في بيئته بظل قيداً يكبله من أجل الاستدامة في قفص العادات، فالهدوء والصفاء الداخلي يتنافى مع الإيقاع السريع الذي فرضته المدنية، فالغربة دفعت بالشاعر إلى مجال الحركة السرعة والصخب والضجيج الذي يعكس المدينة والتطور والتقدم في مجتمع الإنسان الآخر المتباين مع قناعات الشاعر التي تؤمن بالهدوء والسكينة والدعة والسمر والأنس في مجتمع هو مزيج من بين البدائية والمدنية والبداوة. وانتفاء ذلك عبارة عن عذاب في اعتقاد الشاعر.

فالمكان والزمان، قد انقلبا إلى بحر وأمواج وضجيج وصخب وسرعة، وكلها تفاهات في عرف الشاعر وهذه التفاهات تشعره بالغثيان، وتجعله يشعر بضآلة قيمته الذاتية فيحس بالذل والإذلال، ويبدو أن الشاعر يلوح ويشير إلى التلوث البيئي الذي يصاحب المجتمعات المتقدمة، من جراء ما تنفث الآلات وذلك في قوله:

**وتنفث سمها الفتك في قلبي وفي بدني**

**وتنفخ في شراييني  صديد القيح والنتن**

فإحساسات الشاعر في اغترابه ذلك قد تلبدت خلف غيوم الحزن والإحساس بالضياع، فصار يحس بالتمزق الداخلي  ويشعر بالرعب من ذلك المحيط الذي وجد نفسه فيه، يشعر بالرعب من كل مجسم مادي، أو قيمة معنوية لم يألفها قبل ذلك.

فالبحر يعني الغموض والمجهول والخطر، يعني الضياع، يعني السير بلا وجهة ولا بوصلة، والكفاح من أجل النجاة، هي آخر أمنيات الشاعر في وسط هذا اللباب يقول:

**أنا وحدي وليس هنا سوى موج يصارعني فيصرعني**

**سوى أشتات أمتعة تنادمني فتسرقني وتبعدني**

**وتبعد كل أوكاري ونطمس كل آثاري**

**أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى**

**أقول البحر يا سمرا**[16]

ويستمر الشاعر في تصوير هذا البحر كناية عن مجتمع الاغتراب ويوسمه بكل الصفات التي تهدد حياة الإنسان بالخطر وللضياع ولا من مغيث ويقول:

**وما أدراك ماذا البحر يا سمرا**

**محيط يبلع الآمال يدفنها بقبعاته**

**يبدد فيك حزنا كنت تحمله بأحزانه**

[16] **ديوان كبرى**، مرجع سابق, ص 68

**ويسخر من دموع كنت تذرفها بشطانه**

**ويحيي فيك طفلاً كنت تهمله بنسيانه**

**أقول البحر يا كبرى**

أسلوب التكرار الذي يستمر مع القصيدة، ويعكس دلالة ترسيخ المعاناة. وتهويل الموقف الذي يعيشه الشاعر: وقد جعل من البحر جباراً عنيداً يأبد الآمال ويقتل الطموحات ولا يبالى، وينشر الحزن والأسى وأضفى إليه صفات إنسانية حيث جعل يسخر وستهزئ من دموع الآسي.

البحر باعثا للخوف في الإنسان، وذلك يدفع الإنسان إلى إحياء الطفل الذي في داخله ومن سمات الطفولة والخوف والرعب.

فالبحر هو ذلك السفاح الذي يهدد حياة الشاعر ويسخر منه ويجعله بتقوقع عائداً إلى دواخل نفسه ليشعر بالخوف والرعب والوحدة، وكأنه طفل.

وفي ختام القصيدة يدلى بآخر أحاسيسه بعد أن هد البحر وخضمه مصارعة الموج قواه وأصابه الضعف والوهن وحوله إلى طفل عاجز عن المقاومة، الأمر الذي دفعه إلى الاستنجاد بكبرى، ومناجاتها بل الصلاة من أجل ملاقاتها فيقول:

**وما أدراك ماذا البحر يا كبرى**

**مليك حل أقنعتي وحولني**

**إلى طفل يصلى حين يذكركم**

**ويعشق فيكم الذكرى**


ISSN: 2709-5312

**مساء الخير يا كبري**

**مساء الخير يا سمرا**

**مساء الحب والذكري**

فهو في النهاية لم يجد إلا الدعاء والذكرى. من أجل إحياء الآمال في نفسه ، بعد أن سلبه البحر كل شيء (مليك حل أقنعتي) بعد أن وضعه في موقف الحقيقة السافرة (مليك حل أقنعني وحولني إلى طفل)، والطفولة كناية عن العجز والضعف والبراءة غير أن البحر لا يرحم ولا يرأف فلم يبق للطفل إلا الدعاء من أجل الخلاص، الذكرى، وليؤكد الحب والعشق الرابط الأسمى بينه وبين كبرى وهذا هو أمله الوحيد.

**الخاتمة:**

يعد عبد الواحد حسن السنوسي من الشعراء المجدين وقد تمكن من فرد طابعه الخاص في صياغة الشعر بأسلوبه التجديدي. تمتاز فنياته بالإطناب وطول النفس، والتعبير المتسم بالإبداع والروعة والتصوير الذي يمده بالخيال بالعمق والجمال.

وتكثر القصائد التي تعني بالوطن والوطنية في شعره مما يعكس دلالة اهتمام الشاعر بوطنه ومجتمعه، وكأي شاعر ينتمي إلى التيارات التجديدية تبرز خصائص هذه التيارات في شعره، ومن أهمها الشعور بالغربة والمعاناة من الاغتراب .

فالغربة في شعر عبد الواحد حسن السنوسي بادية جلية في معظم قصائده الوطنية، حيث تصدمك الشكوى والحسرة والأسى، والقلق، والتعبير الذي يصف مجتمعه ومحيطه الذي ينتمي إليه حسياً، ويرفضه ويتمرد عليه معنوية، فهو غريب في موطنه وتلفه مشاعر التفرد والوحدة في

وسط مجتمعه وجماعاته، ذلك لأنه يرى أعمق ويشعر أكثر مما يجب، وهذا من ديدن شعراء التيارات التجديدية ومن الخصائص التي يتميزون بها.

أما الاغتراب فهو النأي ومفارقة الوطن الألم الذي ينتمي إليه الشاعر، والهجرة إلى بلدان أخرى. وتظهر معاناة الاغتراب بشعوره بالوحدة والعزلة والوحشة واصطدامه بواقع لم يألفه مما يشعره بالصغار والضياع، ومن خلال ذلك تبرز المعاناة النفسية التي يشعر بها الشاعر والتي تكبل دواخله بقيود من الحزن والأسى، ويدفعه ذلك إلى بعث مكامن الذكريات والاستغاثة بالوطن لأنه كبرى في كل شيء، وكبرى قادرة على انتشال هذا الطفل من وحل الاغتراب، ومن خلال قصائده الغربة والاغتراب والمعاناة النابعة منهما يمكن استخلاص التالي:

**أولا: النتائج:**

1. أن أشعار عبد الواحد حسن السنوسي تناولت القضايا الوطنية والاجتماعية.
2. أن رؤاه الشعرية تخضع لخصائص التيارات التجديدية.
3. زخرت أشعاره عن معاناة الغربة والاغتراب.
4. أشعاره تبرز الانتماء إلى المجتمع قيميا.
5. قصائد الاغتراب تبرز معاناة الوحدة والعزلة والوحشة.
6. الوطن في أشعاره رمز الدفء والسكينة.
7. للخيال دورا كبيرا في رسم الصورة الشعرية عند عبد الواحد حسن السنوسي.

**ثانيا: التوصيات:**

1-ضرورة طباعة ونشر دواوين الشعر التشادي بصورة عامة وإعادة نشر مخطوطات الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي على وجه الخصوص.

2-دراسة الأدب والشعر في تشاد، دراسة علمية منهجية لكشف ما به من جودة ورصانة ومضامين وقيم رفيعة.

**3**-ضرورة ربط الدراسات النظرية في مجال الأدب التشادي بالحياة المعاصرة حتى يستفيد الجيل الجديد من الشباب من تجارب السابقين ويحذو حذوهم

**المراجع:**

1. المعجم العربي الأساسي، الناشر الاسيسكو ومطابع امبريميتو، باريس فرنسا، 1992م.
2. النزير البدوي عباس، الاغتراب النفسي لدى شواء التجديد، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، الخرطوم 2007م
3. إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، محمد مفتاح، الدار البيضاء.
4. اتجاهات الشعر العربي الحديث والمعاصر، د.أحمد عوين، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2010م.
5. ديوان الكبرى، للشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، تقديم د..محمد النظيف يوسف، المركز العلمي للدراسات والبحوث، سلسلة الأدب التشادي، 2005م.
6. اللامنتهي، دار الآداب، كلون ويلسن، بيروت، لبنان، 1969م.
7. شعرية التعبير والتصوير في الشعر العربي المعاصر، د.خضر درويش، مكتبة وهبة للطبع وانشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.
8. الشعر الحديث جداً في الوطن العربي في المهجر: د. أسعد علي، دار السؤال، دمشق، 1981م.